

أهل بيت الإسلام

محمد بن شهاب الزهري

بقلم السيد ناجي الطنطاوي

محمد بن شهاب الزهري ، علم من أعلام التابعين ، واما
جليل من أئمة المسلمين ، روى الحديث عن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن أبناء أصحابه . وكان نادرة في الذكاء
وقوة الحافظة والصبر على طلب العلم ، ثقة ، أميناً في الاسناد
شهد له الخلفاء والعلماء بالتفوق والفضل حتى قال ابن تيمية :
حفظ الزهري الاسلام نحواً من سبعين سنة ، وكان مع ذلك
سخياً كريماً يبذل ماله في سبيل العلم

اسم ونسب وولده

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله
ابن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة^(١) ، أبو بكر القرشي
الزهري . سمي بالزهري نسبة الى زهرة بن كلاب ، كان أبو جده
عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرًا ، وكان أحد النفر
الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليقتلنه أو ليقنطنّ دونه . وقد سئل الزهري مرة : هل شهد
جديك بدرًا ؟ قال نعم ، ولكن من ذلك الجانب ! أي من
جانب قريش

وانتسب الزهري مرة أمام هشام بن عبد الملك ، فقال له
هشام : ان كان أبوك لتقاراً في الفتن ، فقال : يا أمير المؤمنين
عفا الله عما سلف

وقال : نشأت وأنا غلام ، ولا مال لي ، منقطع الديوان ،
فكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة ، وكان عالماً بنسبهم
وهو ابن أختهم وحليفهم

وقال ابن حيوي : لم يكن له كتاب الا كتاب فيه نسب
قومه ، أما سنه وولادته فلم تعلم على وجه الصحة لاختلاف

(١) مرة أبو قبيلة كبيرة من قريش ، منها أمة بنت وهب والدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ناحية تأمر الانسان بالوقوف عند حد ما يعلم (ولا تقف
ما ليس لك به علم) ومن ناحية أخرى تدله على طريق استنباط
الحق فيما لا يعلم ، والاستمساك بما يتبين له من الحق عن ذلك
الطريق ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل (إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) وفي قوله سبحانه
(كل أولئك كان عنه مسؤولاً) في موقعها من الآية تقرير
مسئولية الانسان عند ربه عن حواسه وعقله كيف لم يستعملهن
عند الشك حتى يتبين وجه اليقين ، وكيف حين استعملهن
لم يحسن استعمالهن ، أم كيف وقد أحسن استعمالهن لم يستمسك
بما وصل اليه من الحق عن طريقهن حتى صار هو ومن أهلهن
سواء . ولو حاول العلم أن يزيد في توكيد أصوله على هذا
ما استطاع ، ثم هو ليس يبالغ شأواً الدين في هذا التوكيد لأنه
لا يملك لمهمل أصوله حساباً ولا عقاباً

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفينا هذا الموضوع الخطير بعض
حقه من البحث ، وبلغنا الغرض الذي بدأنا هذا البحث من
أجله ، وأثبتنا أن العلم الحديث بينه وبين الاسلام كل ما بين الجزء
والكل من تطابق ما دام قد ثبت أنه قرآني الموضوع والاسم
والروح والطريقة ؛ فهو بجملته وتفصيله قطعة من الاسلام ، حتى
فروضه العلمية ونظرياته التي يتلمس بها سنن الفطرة لها في الاسلام
متسع ، لأنها ليست الا ضرباً من الاجتهاد الذي يثبت الله عليه
المجتهد ، أخطأ أم أصاب . وهذا التطابق العجيب بين العلم
والاسلام هو الذي كان متوقفاً ما دام الاسلام هو دين الفطرة ،
وما دام العلم قد أصاب الفطرة وإن في بعض نواحيها . وليس يمنع
العلم أن يصاب الفطرة في بعضها الآخر المتعلق بحياة الانسان
الاجتماعية . الا أن هذه الحياة خارج نطاقه ، وستظل كذلك
لامتناع إخضاع الفرد بله الجماعة للتجربة العلمية والاختبار . فليس
هناك للانسانية إذن أي أمل في أن تصيب سنن الفطرة في
الاجتماع عن طريق العلم ، فهي لن تزال في مدينتها بعيدة عن
سنن الفطرة وعن سبيل السلام حتى تقيم وجهها للدين حقيقاً
(فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبدل خلق الله)

محمد أحمد القراري

فقال : تعال نكتب السنن فكتبناها ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأصبح وضيمت

قوة حافظته

كان يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح وسور الفأر ويقول إنه ينسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكر . وقال : كتب عبد الملك الى أهل المدينة كتاباً في طومارين يعاتبهم به ، فقرأه على الناس عند النبر ، ولم يكن سعيد بن السيب حاضراً ، فلما انقض الجمع قال سعيد لجلسائه : ما كان في ذلك الكتاب ؟ ليت أنا وجدنا من يعرف لنا ما فيه ، فلم يتكلم أحد . فقلت له : أحب أن تسمع كل ما فيه ؟ قال نعم قال : فقرأته له من أوله الى آخره لم أنس منه كلمة وقال : ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت شيئاً على عالم قط يعني أنه كان يحفظ ويفهم من أول مرة

وقال الامام مالك : حدثني الزهري بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه مرة ثانية فقال لي : أليس قد حدثناكم به ؟ فقلت : بلى ، فأردت أن أستخرجه ، فقلت له : أما كنت تكتب ما تسمع ؟ فقال : لا فقلت : أما كنت تستعيد ؟ فقال : لا وقال مالك حدثنا الزهري بمائة حديث ، ثم التفت إلى وقال : كم حفظت يا مالك ؟ فقلت : أربعين حديثاً ، فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله ، كيف تقص الحفظ ؟

وقال سعيد بن عبد العزيز : سألت هشام بن عبد الملك الزهري أن يعلي علي بعض ولده ، فدعا بكتاب فأملى عليه أربعين حديثاً ثم إن هشاماً قال له : ان ذلك الكتاب قد ضاع ، فدعا الكاتب فأملأها عليه ، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فاغادر حرفاً

صغرته عند الخلقاء

كان عمر بن عبد العزيز يقول : عليكم بابن شهاب ، فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . قال معمر وإن الحسن وزياده لأحياء يومئذ . وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً : ما ساق الحديث مثل الزهري ، وما أتاك به الزهري بسنده فاشدد يدك عليه

إرخين فيها فهي إما سنة ٥٠ أو سنة ٥١ أو سنة ٥٢ ، وقيل سنة ٥٨

قال سفيان^(١) : رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية ، وفي حمرتها كفاء^(٢) قليل ، كأنه يجعل فيها كفاً^(٣) ، وكان أعيمشاً^(٤) عليه جحيحة^(٥) وكان رجلاً قصيراً ، قليل اللحية ، له شعرات لوال ، خفيف العارضين

بهم العلم

دخل مرة على عبد الملك بن مروان ، فذاكره عبد الملك ، فرأى فيه نباهة فوصله ، وأمر له بشراء دار قطعة بالمدينة ، وبرزق يجري عليه ، وأعطاه خادماً وقال له : اذهب فاطلب العلم ، فإني أرى لك عينا حافظاً ، وقبلنا ذكياً ، واثت الأنصار في منازلهم . قال : فأتيت المدينة ، فاذا عند الأنصار علم جم ، فأخذته عنهم

وقال ابراهيم^(٦) بن سعد : ما سبقنا الزهري بشيء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد ، وكنا نتمننا الحدائث

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس بعد أن كنا نطوف نحن وإياه معنا الألواح والصحف ونحن نضحك به ، وكان يكتب الحديث فيحفظه ثم يحويه وقال صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهري

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلال الكوفي . محدث الحرم كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة وتوفي بكرة سنة ١٩٨

(٢) الانكفاء : تغير اللون

(٣) الكم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر

(٤) المشي : ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها

(٥) تصغير وجه وهي ما سقط على الشكين من شعر الرأس

(٦) هو ابراهيم بن سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ،

أبو اسحاق الزهري ، من أهل المدينة ، نزل بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وأكرمه الرشيد وأظهر بره . كان محدثاً ثقة ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه ، وكان أبوه على قضاء المدينة من جلة المسلمين ،

توفي سنة ١٨٣

السماعى^(١) : كان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً له
الأخبار ، وكان قتيهاً فاضلاً

قال ابن عينية : ما رأيت أنص للحديث من الزهري

سنة علمه

قال علي بن المديني : له نحو ألفي حديث . وقال أبو داود^(٢)

جميع حديث الزهري ألفا حديث ومائتا حديث نصفها مسند

وقال مالك : لقد أدركنا في مسجد المدينة سبعين ممن يرو

الحديث وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً ،

أخذت منهم شيئاً ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم علي

الزهري وهو شاب فازدحمتنا على بابه

وقدم أحمد^(٣) بن صالح العراق من مصر ليرى أحمد بن

حنبل^(٤) ، فاستأذن إليه فأذن له ، وقام إليه ورحب به وقرّبه وقا

له : بلتني أنك جمعت حديث الزهري ، فتعال حتى نذكر ما روى

الزهري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله

يتذاكران ولا يفرب أحدهما على الآخر حتى فرغا ، قال الراوي

وما رأيت أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد

ابن صالح : تعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أولاد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلنا يتذاكران ولا يفرب أحدهما على

الآخر ، الى أن قال أحمد بن حنبل : عن الزهري عن محمد بن جبير

ابن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال النبي صلى

الله عليه وسلم : ما يسرنى أن لي حمر النعم ، وأنزلي حلف الطيبين .

فقال أحمد بن صالح سألتك بالله إلا أمليته علي . وقال : لو لم أستفد

وقد تقدم قول عبد الملك بن مروان له : إني أرى لك عينا
حافضة وقلبا ذكياً

وقال : لما توفي عبد الملك لزم الوليد^(١) ، ثم لزم

هشاماً بعده وحجبت معه سنة ١٠٦ فكننت مع ولده أعلمهم

وأقربهم وأحدثهم ولم أفارقهم حتى مات هشام بالمدينة

مترلة عند العلماء

قالوا : كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية قتيهاً

جامعاً وقال الليث عن جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك

من أقته أهل المدينة ، فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة^(٢)

وعبد الله بن عبد الله ، قال عراك : وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب

لأنه جمع علمهم إلى علمه

وقال مكحول^(٣) : ما بقي على ظهرها أعلم بسنة باقية من

الزهري وقال أيوب^(٤) : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري . فقال

له صخر بن جويريه : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهري

وقال عمرو بن دينار : مثل هذا القرشي ما رأيت قط ، وقال سعيد

ابن عبد الرحمن بن حنبل : لولا ابن شهاب لصاعت أشياء من

السنن ، وقال سفيان بن عيينة : جالست الحسن وغيره ، فما رأيت

مثل الزهري وقال الامام مالك : بقي ابن شهاب ، وماله في الناس

نظير ، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها .

وقد اتفق الأئمة على أن الزهري مات يوم مات وهو أعلم الناس

بالسنة ، واتفقوا على أنه كان أقته من الحكم وحجاد وقتاده وقال

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السماعي

التميمي أبو المنذر ، مفسر من العلماء بالحديث ، من أهل مرو توفي سنة ٤٨٩

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني

إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجان ، ورحل رحلة كبيرة ،

وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥

(٣) هو أحمد بن صالح ، أبو جعفر البصري ، كان حافظاً للأثر ، عالماً

بمثل الحديث ، ثقة ؟ ورد بغداد ثم رجع إلى مصر وأقام بها حتى

توفي سنة ٢٤٨

(٤) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي ،

وأحد الأئمة الأربعة ؛ ولد في بغداد ونشأ مكيّاً على طلب العلم ، وسافر في

صنيله أسفارا كثيرة ، وسجته المتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن

القول بخلق القرآن ثم أطلقه ، ولم يصب شراً في زمن الوثائق ، ولما تولى

التوكل ! كرمه وقدمه ومكث مدة لا يولى أحداً إلا بشورته ، توفي في

(١) ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن الزهري كان يقدح أبداً عند

هشام في الوليد وبنيه ، ويقول ما يجعل لك إلا خلفه فاستطاع هشام ،

وأنه لو بقي الزهري إلى أن يملك الوليد لفعلك به

(٢) هو عروة بن الزبير بن الدوام الأسدي القرشي ؛ أحد إلفهاء

السنة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً ، لم يدخل في شيء من

الفتن ، وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفي

فيها ، وبثر «عروة» بالمدينة منسوبة إليه ، توفي سنة ٩٣

(٣) هو مكحول بن شهاب (وقيل ابن عبد الله) بن شاذل ، فقيه

الثام في عصره ، من حفاظ الحديث ، كلفه مولى لامرأة من هذيل ،

وأعتق فمكن مشفق ، وتوفي بها سنة ١٠٢ ، قال عنه الزهري : لم يكن

في زمنه أبصر منه بالفتيا

(٤) هو أبو بكر أيوب بن أبي تيمية كيسان السخيتاني البصري ، سيد

فقهائه عصره ، تابعي ، من حفاظ الحديث ، كان تبتاً ثقة ، توفي سنة ١٣١

أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو بفظه : قد رأيت ماصر عليك من الضيق والشدة ، فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك . فقال له : ويحك ، إني لم أر الكريم تحمك التجارب فقال الحسين بن عبد الله الكاتب في هذا المعنى :
له سبحانه جود في أنامله أمطارها الفضة البيضاء والذهب يقول في المعسر إن أسرت ثانية

أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب حتى إذا غاد أيام اليسار له رأيت أمواله في الناس تنهب وصرّ به رجل من التجار وهو في قريته ، والرجل يريد الحج ، فابتاع منه بزاً بأربعمائة دينار إلى أن يرجع من حجّه ، فلم يبرح عنه الرجل حتى فرّقه . . . ففرغ الزهري في وجه الرجل ما كره . فلما رجع من حجّه قضاء ذلك وأمر له بثلاثين ديناراً ينفقها في سفره . فقال له الزهري كأني رأيتك يومئذ ساء ظنك فقال : أجل . فقال : والله لم أفعل ذلك إلا للتجارة : أعطى القليل فأعطى الكثير !

وكان يخرج إلى الأعراب يفقههم ويعطيهم فجاءه رجل وقد نفذ ما في يده ، فد الزهري يده إلى عمامة عقيل فزرعها وأعطاه الرجل ، وقال لمقيل : أعطيك خيراً منها .

وقال له زياد بن أسعد : إن حديثك لي عجيب ، ولكن ليست منى نفقة فأتممك . فقال له : اتبعني أحدثك وأنتق عليك !

وفاته

كان له ضيعة في شَنْب : وهي أول عمل في فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، توفي فيها في رمضان سنة ١٢٤ على أصح الروايات ودفن في نثر من الأرض ، وقبره قائم على الطريق ليدعو له كل من مرّ عليه . قال الأوزاعي : رأيت قبره هناك منماً بمحصاً مبيحاً فقلت : يا قبر كم فيك من حلم وعلم ما

مجموعات الرسائل

من مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصرياً عند أجرة البريد
من مجموعة السنة الثانية (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عند أجرة البريد
من مجموعة السنة الثالثة (في مجلدين) ٧٠ قرشاً عند أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد في الخارج ١٥ قرشاً

بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيراً

وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع للعلم من ابن شهاب . لو سمعته يحدث في الترغيب ، لقلت ما يحسن إلا هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتب ، لقلت ذلك ؛ وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت ما يحسن إلا هذا . قال ابن إسحاق (١) : سألت الزهري عن شيء ، فقال ما بقي أحد فيها بين الشرق والغرب أعلم بهذا مني وكان يقول : مكثت خمساً وأربعين سنة أقلل أحاديث أهل الشام إلى الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام ، فما أجد أحداً يطرفني بمحدث لم أسمعه

سفره

قال الليث : وكان من أسخى الناس ، كان يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى كان يقترض من عبيده ولا يرى بذلك بأساً ، فقيض الله له على قدر صبره واحتماله : إما رجلاً يهدي له ما يسع السائلين ، وإما رجلاً يبيعه بنظرة ، وكان يطعم الناس التريد في الخصب وغيره ويستقيمهم العسل ، وكان يسمر مع أصحابه على العسل ونزل بماء من المياه مرة ، فقال له أهل الماء : إن لنا ثمانى عشرة امرأة مسنة ليس لهن خادم ، فاستسلف ثمانية عشر ألفاً فأخدم كل واحدة منهنّ خادماً بألف ، وقضى عنه هشام سبعة آلاف دينار وقال له لا تصد لثلاثها تدان ، فقال الزهري يا أمير المؤمنين حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

وأخدم الزهري في ليلة واحدة خمس عشرة امرأة من بنى زهرة خمس عشرة وليدة ، اشترى كل وليدة بثلاثين ديناراً وقيل له إن الناس لا يميون عليك إلا كثرة الدين ، فقال : وكم ديني ؟ إنما ديني عشرون ألف دينار ، وليس يرثني إلا ابن أخي هذا ، وما أبالي ألا يرث عني شيئاً

وكان يقول : وجدنا السخاء لا تنفعه التجارب

وقال الإمام مالك : كان الزهري من أسخى الناس ، فلما

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار الملقب بالذئبي ، أبو بكر ، من أهل المدينة ، زار الإسكندرية وسكن بغداد فأتى بها سنة ١٥١ قال ابن حبان لم يكن أحد يذهب منه قطرب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أجسّد الناس سيقاً للأخبار